دور أعلام التصوف الإسلامي في الإصلاح ومقاومة المستعمر الأوربي الحديث في القارة الإفريقية

د. رضوان محمد سعيد إيزولي
جامعة البلقاء التطبيقية – الأردن

ملخـــص:

تنبني هذه الدراسة على تسليط الضوء على دور أعلام التصوف الإسلامي في إصلاح مجتمعاتهم، ومقاومة المستعمر الأوروبي الحديث في القارة الأفريقية: " المغرب، الجزائر، الصومال، ليبيا، السودان، مصر الخ... كما ركّزت على بيان الحقائق التاريخية لدور التصوف الإسلامي وأعلامه – والتي تمّ تجاهلها من قبل المؤرخين الذين أرخوا لفترة الاستعمار الأوروبي الحديث– في المشاركة في الإصلاح والمقاومة، ودحر الاستعمار عن بلادهم...

وقد عرض البحث إلى أصناف المتصوفة الثلاثة: السنيّة، والبدعيّة، والفلسفية، ومن ثمّ التمييز بين الصوفي الحقيقي والمتصوف الدعيّ، كما تناول البحث الحركات الصوفية التي أثرت في إصلاح المجتمع وقاومت الاستعمار الأوروبي كالحركة السنوسية والطريقة القادرية والشاذلية والرحمانية والتيجانية والدرقاوية...

كلمـــات مفتاحية: تصوف، تحرر، جهاد، مقاومة، الاستعمار الأوربي.

مقدمـــة

ما كان التصوف الإسلامي يوما إلا تجليا يجسد التعاليم الإسلامية، وعلى ما فيه من زهد فهو زهد الصحابة، المتبعين للكتاب والسنة، وكل من تنكب عن طريق الكتاب والسنة لا يعد من الصوفية، ولذا حين نقرأ عن التصوف السلبي المتقوقع في الزوايا والتكايا نظن أنَّ التصوف عبارة عن ابتعاد عن الحياة، ولا علاقة له بما يدور حوله، وهمُّ الصوفي هو الانحياز بنفسه وإبعادها عن كل ما يتعلق بمجتمعه، ولكن الدراسات المنصفة تثبت أنَّ التصوف الإسلامي هو علم وعمل، ومجاهدة، وجهاد: مجاهدة النفس وتخليصها مما يشوبها من علائق وسجايا دنيّة، وتخليصها من التبعية للهوى والشيطان حتى تتحلى بالأخلاق الرفيعة السَنيّة؛ بعد خوض التجربة الصوفية، فترخص نفسه في سبيل الله بعد هذه الرحلة من المجاهدة، ثم يكون الجهاد بالسيف فيدخل المعركة مبتغيا إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة. ولذا نجدهم باعوا أنفسهم رخيصة إذا ما دعا داعي الجهاد، واحتلت أرض المسلمين امتثالا لقوله تعالى:" إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ" (التوبة: 111) وامتثالا لقوله صلى الله علية وسلم: "الرَّوْحَةُ وَالْغَدْوَةُ في سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا "[1]

تسلط الدراسة الضوء على دور التصوف في الإصلاح والتحرير، ومقارعة الاستعمار في القارة الإفريقية حيث نجد الكثير من ممن ينتسبون للطرق الصوفية كانوا مرابطين على الثغور لحماية دولة الإسلام، يتصدون للمستعمرين باذلين الغالي والنفيس في سبيل تحرير بلادهم من الاستعمار الغاشم، ويبين هذا البحث أن التصوف قدم نماذج من العلماء المجاهدين والمصلحين خلدهم التاريخ؛ لما بذلوه من جهد في مقاومة الاستعمار بجميع

أشكاله وأساليبه. لا كما وصفه من طُمس على بصيرته بأنه ديدن المتخاذلين الجبناء المعطلين لفريضة الجهاد ذروة سنام الإسلام، متخذين من أدعياء التصوف نماذج يثبتون بها دعواهم، ومتناسين أولئك الأبطال والعلماء العاملين الذين تفانوا في سبيل استعادة بلادهم كعمر المختار، وعبد القادر الجزائري وماء العينين، واحمد عرابي، والسنوسي، والجبرتي، والخطابي، وعثمان فودي وغيرهم.

والتصوف قدم نماذج متكاملة في الإصلاح والنهوض بالمجتمع والحفاظ على تماسكه، كما حارب البدع والضلالات؛ التي عانت منها المجتمعات الإسلامية، وكان دوره بارزا في نشر العلم في زواياه، كما قام المتصوفة بدور كبير في نشر الإسلام في القارة الإفريقية وغيرها من القارات.

مفهـــوم الجهاد عند الصوفية:

بدأ الإسلام بالجهاد وسينتهي إلى الجهاد، وجعل ما بينهما من حرب وسلم جهادا؛ فالحرب جهاد أصغر؛ لأنه حالة عارضة، والسلم جهاد أكبر؛ لانَّ جهاد النفس أدوم؛ لأنه استعدادٌ لدنو ساعةِ الحربِ ومقارعةِ العدو "[2] فكلاهما واجبٌ على المكلف ولا فصل بينهما، فإذا انتهى المسلم من مواجهة العدو الظاهر، فليسعَ لمواجهة العدو الباطن لاعتقادهم بأنَّ "أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك" [3] رواه البيهقي

والجهاد الذي فرضه الإسلام لم يكن بحال من الأحوال رغبة في إراقة الدماء وقتل الأبرياء بسبب اختلافٍ في الدين أو المذهب أو العرق أو الجنس، أو بسببِ التعصب الأعمى؛ لانَّ الإسلام يرفض كافة أشكال الإرهابَ والعنفَ" الذي يرادُ به الممارسات الخاطئة أيّاً كان مصدرها وشكلها،

والمتمثلة في التعدّي على الحياة الإنسانيّة بصورة باغية متجاوزة لأحكام الله، تروع الآمنين وتعتدي على المدنيين المسالمين، وتجهز على الجرحى، وتقتل الأسرى، وتستخدم الوسائل غير الأخلاقية، من تهديمِ العمران واستباحة المدن "ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق" (151: الأنعام).

والإسلام كما اتفق علماء المسلمين أقرَّ مقاومة الظلم والاستعداد لملاقاة العدو ونبذ التطرف والعنف "وإنّ وسائل مقاومة الظلم وإقرار العدل تكون مشروعة بوسائل مشروعة، وندعو الأمّة للأخذ بأسباب المنعة والقوّة لبناء الذات والمحافظة على الحقوق، ونعي أنّ التطرّف تسبّبَ عبر التاريخ في تدمير بنى شامخة في مدنيات كبرى، وأنّ شجرة الحضارة تذوي عندما يتمكن الحقد وتنغلق الصدور.

والتطرف بكل أشكاله غريب عن الإسلام الذي يقوم على الاعتدال والتسامح. ولا يمكن لإنسان أنار الله قلبه أن يكون مغالياً متطرفاً "[4] .

والجهاد الذي نقصده هو جهاد المحتل الظالم والطامع في خيرات المسلمين، جهاد العدو الذي استهدف عقيدة المسلمين وأعراضهم هذه هي المقاومة التي نقصدها في بحثنا هذا.

وعلى هذا فقد فهم علماء التصوف دورهم جيدا، ومن يقاتلون، ومتى يقاتلون، وكيف يجاهدون ولذا جمعوا بين الجهادين في مقاومة العدوَيْنِ، وبناء عليه فإننا نجدهم المجاهدين الذين هانت الدنيا عليهم، فباعوا أنفسهم لله فاقبلوا وما أدبروا، ولا تقاعسوا عن تلبية النداء، كما صرح أعداء التصوف.

ونرى الهجمة على التصوف تركز على الجهاد الصوفي فقالوا فيه: انه خمول وخنوع وخضوع للمحتل واتهموهم اتهامات باطلة ملأت صفحات الكتب والمواقع الالكترونية، ونصبوا العداء لعلمائه قديما وحديثا فلم يسلم من

ألسنة المتَّهِمين أحد، سواء في ذلك العدل والمجروح فصبوا جام غضبهم على الدعاة والمجاهدين والمصلحين والكتاب والشعراء والمؤلفين – وكلُّهم ممن يُشْهَدُ لهم بالعدل والفضل– فوصل اتهامهم للصوفية بكل أشكالهم وطوائفهم إلى حد التكفير، وإخراجهم من الملة، وقد جاء في رسالة عمان والتي لاقت إجماعا من علماء المسلمين المعتبرين: "لا يجوز تكفير أصحاب العقيدة الأشعريّة، ومن يمارس التصوّف الحقيقي، وكذلك لا يجوز تكفير أصحاب الفكر السلفي الصحيح" فانبرى لهم المنصفون من العلماء الذين يميزون بين الغث والسمين، وبينوا الفرق بين الصوفي والمتصوف، فكتبوا بإنصاف وحِيَدةٍ، فتصدوا لهم وبينوا حقيقة التصوف، ودور علمائه في الإصلاح ونشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها وتحرير البلاد من الاستعمار.[5]

ومما قالوه فيهم: إن تقاعس المتصوفة عن الجهاد، يرجع إلى فكرة التصوف نفسها، فهي لا ترى جهادا ولا حربا، إلا جهادَ النفس وحربَها. وقالوا: بـــ " أن الصوفية يرون عدم جدوى جهاد الكفار، وأنَّ كلَّ ما قدره الله يحبه، وكل ما وقع فقد قدره الله، ولذا يجب عدم معارضة قضاء الله وقدره، وإنهم استقبلوا المحتل وينالون منهم الدعم المادي، والدول العظمى تركز على الزوايا الصوفية لأنها تقوم مقام المراكز الاستخبارية للدول المستعمرة"[6]. بل قالوا: إن التصوف برمته مؤامرة على الإسلام "وليس له صلة بتعاليم الإسلام، ولا تعاليم الشريعة الحنيفية السمحاء الغراء؛ لقتل روح الجهاد...ولتمكين الذل والاستكانة والهوان وإفشاء الجهل والكسل والخمول".[7]

ولا شك بأن هناك بعض من ينتسبون إلى التصوف كانوا على هذه الشاكلة، وكانوا وبالا على الإسلام والمسلمين، وهناك من اشتراه المحتل الأجنبي ليقف إلى صفه، ويقدم له الدعم اللوجستي، ولكن لا بدّ من التمييز بين الصوفي والمتصوف الدعيِّ.

فهناك فئات ادعت التصوف وشوهت صورته قديما وحديثا، فألف علماء التصوف المعتبرون الكتب الكثيرة يميزون خلالها بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان كالشعراني والأسمر وابن البنا السرقسطي، واليافعي[8] وذلك لما شاهدوه من أدعياء التصوف فهذا الشيخ زرّوق: " وهو العالم البارز في طريق القوم، ألَّف كتابيه: عُدَّة المريد الصادق، والنصيحة الكافية لمن خصَّه الله بالعافية؛ بيّن فيهما أحوال كثيرين من مدّعي التصوُّف في عصره، وهي أحوال تنمُّ عن البعد عن الدين، وترك الطريق القويم "[9] و"عبد السَّلام الأسمر (981هـ) وهو شيخ مُعتبر في التصوُّف ألف كتباً في حال متصوِّفة عصره من ولوعٍ بخوارق العادات، ورقص على الدفوف أمام النساء، يقول الأسمر في وصيته لإخوانه المريدين محذِّراً: "وحقيقة اتباع الهوى، هو أن يشتغل المُريد بالأوراد والفضائل، ويترك ما أوجبه الله عليه، ولا يتعلَّم الواجبات، فمن كان هذا وصفه فلا تقبلوه بالكلية؛ لأنَّه لا يفلح أبدا "[10]

وقد شكا ابن البنا السرقسطي حال المتصوفة الجهلة في ليبيا وغيرها في منظومته قائلا:

وآلت الطريقة الصوفية	إلى أناس جلُّهم بليَّة
لا يفقهون العلم والفرقانا	بل يحسنون الفسق والعصيانا
ويتقنون الضَرب للدفوف	ويجهلون الرَّسم للحروف
واتَّبعوا زخارف الدنيّة	وخالفوا الشَّريعة السَّنيَّة

وأصبحت كلُّ الزَوايا عاطلة عن العلوم والرِّجال الواصلة
فجلُّ من فيها من الرعاع قد عرفوا بشرّ الابتداع
فأفسدوا طريقهم وضاعوا ودينهم بجهلهم قد باعوا[11]

وحقيقة القول إن المتصوفة يقسمون ثلاث طوائف:صوفية سُنيّة وصوفية بدعية و صوفية فلسفية، وقد ذكر ذلك الطوسي في كتابه اللمع وبسط القول في طوائف الصوفية الحقَّة والمتبعة للكتاب والسنة والطوائف المبتدعة والفلسفية وما وقعوا فيه من أغلاط [12]

أولا: الغارقون في البدع والمخالفات هؤلاء هم مخلفات الأدعياء الذين يتنعمون بأتباع يفنون أنفسهم في خدمتهم ويبذلون أموالهم في سبيلهم ويعظمونهم ويقدسونهم، ولا يخالفون لهم أمرا فكيف يتركون هذه النعم ويرجعون إلى الطريق الصحيح؟! طريق: الزهد والتواضع والخضوع لله؛ إنَّ هذا صعب على أنفسهم كما كان الإسلام صعب على زعماء مكة فكيف يخضعون ويأتمرون؟!..

ثانياً: الضعفاء الجاهلون الذي تصدروا للتصوف والمشيخة، وهم لا يعرفون منه إلا الرسم والقشور وقد نشِّئوا على هذا واستقرت أحوالهم، فلا يتكبدون صعوبة التصحيح والرجوع للعلم والعمل .

ثالثاً: الدخلاء والأدعياء الذين دخلوا التصوف للنيل منه فدخولهم بقصد التحريف؛ كما دخل الكثير من المجوس واليهود في الإسلام في عصر الفتوحات بقصد النيل منه والدس فيه وهذا هو حال التصوف صراع دائم بين أهل التصحيح وأهل التبرير، وهناك من يتربص بكليهما وهم أعداء التصوف من المستشرقين وغيرهم.

ودليل الفرق بين الصوفي والمتصوف تلك النماذج الصوفية التي كانت ترابط على الثغور لحماية دار الإسلام، والتي سنشير إلى بعض منها في هذه الدراسة، تلك النماذج التي سطرت تاريخ المقاومة والتحرير بدمائها، وقدمت للإسلام جيلا مقاوما سلك طريق الهدي النبوي، وبذلت جهدها وحياتها في إصلاح المجتمع وتعليمه وتثقيفه، إنها نماذج نشرت الإسلام في الشرق والغرب بمعاملاتها وعلمها وأخلاقها، حتى وصل الإسلام إلى شتى بقاع الأرض، دون إراقة نقطة دم، إنها النماذج الربانية لا الرهبانية، ومثل هؤلاء لا مجال لنسيانهم وسلخهم من التاريخ المشرف، وعليه فلا بد لنا أن نبين دورهم في حركات الإصلاح والتحرر المعاصرة؛ لدحض ما اتهموا به من تقاعس وخنوع وخضوع و رضى بالذل والاستعمار، فهذه الجزائر تشهد بأن شيوخ الطرق الصوفية هم الذين أمروا جميع المواطنين الجزائريين بالتعبئة العامة والدفاع عن مدينة الجزائر العاصمة بعد تخلي الأتراك عن هذه المهمة.[13] وإن " جميع الثورات والانتفاضات الشعبية التي وقعت خلال ليل الاستعمار الطويل قد انطلقت من الزوايا، واعتمدت طريقة أو مجموعة من الطرق الصوفية "[14].

وتقارير الفرنسيين تعترف بدور الطرق الصوفية فقد جاء في احدها بأن: " الدرقاوية كانوا معادين لنا كل العداء؛ لأنَّ غايتهم كانت سياسيّة وبوجه خاص أرادوا أن يشيدوا من جديد صرح إمبراطورية إسلامية ويطردوننا، إنّ هذه الطريقة منتشرة جدا في الجنوب ومن الصعب جدا مراقبتهم، لقد كانت ندوات الإخوان سريّة وكانت أغلبيّة رؤسائهم معروفة[15]". " إن مشائخ الزوايا يختارون في تدريسهم للقراءة نصوصا من القرآن معادية لنا، مما يحطم فيهم وبسرعة الشعور الذي سعينا لتطويره فيهم من طرف مؤسساتنا وتعتبر التأثيرات الدينية من ألدِّ أعدائنا والتي يجب أن نخشاها ونخطط لها

سياستنا، ولقد كانت القبائل الأشد عداء لنا هي تلك التي ينتشر فيها التعليم الإسلامي[16]".

ويقول المؤرخ الفرنسي مارسيل إيميري:" إنَّ معظم الثورات التي وقعت خلال القرن التاسع عشر في الجزائر كانت قد أُعِدت ونُظِّمت ونُفِّذت بوحي من الطرق الصوفية، فالأمير عبد القادر كان رئيسا لواحدة منها وهي الجمعية القادرية، ومن بين الجمعيات المشهورة التي أدت دورا أساسيّا في هذه الثورات: الرحمانيَّة والسنوسيَّة والدرقاويَّة والطيبيَّة".

"والحق أن للطرق الصوفية أهمية بالغة في الإسلام، وذلك أنها تمثل الجانب العملي من التصوف، وهو جانب ارتبط بحياة المجتمعات الإسلاميَّة وجماهير النَّاس، ويسجل التَّاريخ لكثير من الطرق الصوفيَّة مواقف لا تنقصها الشجاعة إزاء مواجهة العدو، ورد الظلم والدفاع عن مصالح الطبقات الفقيرة المستضعفة، وذلك في عزة مدهشة قلَّ أن توجد في هذا العصر، ولا يخفى علينا دور الطريقة القادريَّة في مقاومة الاستعمار الفرنسي في الجزائر، ودور السنوسيَّة في ليبيا غير خاف على أحد، ونجد الدور نفسه قامت به الطريقة الشاذليَّة في مصر تجاه المحتل، وحفاظا على مصالح العباد، في عصر الشاذلي نفسه، والطريقة الرحمانية من ضمن هذه الطرق الصوفية التي أدت دورا هاما في المجتمع الجزائري والمجتمع التونسي"[17].

إن النَّاظر بعين الإنصاف، للتاريخ الموثق والمحقَّق والذي كتب بأيدي المنصفين ليجدنَّ أغلب حركات التحرر المعاصرة قامت بقيادة علماء التصوف، بل قلما نجد حركة من حركات التحرير المعاصر لم يكن لعلماء التصوف فيها دور.[18]

وللأسف فقد أغفل أولئك المؤرخون دور علماء المسلمين عامة، ومن انتسب منهم للتصوف خاصة. وربما كان ذلك متعمدا؛ لما لبعث الروح الصوفية من دور في إثارة ذعر أعداء الإسلام؛ لما لاقوه من الصوفية في القرون السابقة، والمعاصرة فالتصوف: هو المارد الذي يخيفهم؛ لعلمهم وتجربتهم بشراسة مقاومتهم في حروبهم إبَّان الحروب الصليبية؛ ونمى حقدهم على الصوفية، ولا أدل على ذلك من موقف قائد الحملة الفرنسية غوروا حين دخل دمشق محتلا سنة 1920م هرع إلى مقام السلطان صلاح الدين الأيوبي وخاطبه بحقده واضعا حذاءه على قبره قائلا: "ها قد عدنا يا صلاح الدين "[19].

هذا ما دعاهم لتجاهلهم وتجاهل دورهم وإبعادهم عن بؤرة الضوء في السجلات التاريخية فلا نجد ذكرا لهم فيما كتبوا اللهم إلا هنا وهناك في طيات بعض التراجم أو المؤلفات التي ألفت بذكر مآثرهم من قبل المؤرخين المنصفين أو تلاميذهم المخلصين، والتي لم تصل للقراء إلا بعد مرور عقود من جهادهم، وتحرير الأرض من براثن الاستعمار، عدا مشاهير المجاهدين ممن دخلوا التاريخ عنوة كقادة الحركة السنوسية: محمد علي السنوسي، وعمر المختار، وعبد القادر الجزائري، فلم يلق أولئك المؤرخون أمامهم في ساحة القتال سواهم، فلم يستطيعوا إسكات أقلامهم فكتبوا تاريخهم على استحياء. وذلك لمواقفهم الناطقة والشاهدة على التاريخ، والظاهرة ظهور الشمس في رابعة النهار.

إنَّ الصحوة الإسلامية تقض مضاجع المستعمرين ولذا نجدهم لا يألون جهدا للقضاء عليها، وإجهاضها، فيرسمون المخططات ويبنون الاستراتيجيات طويلة الأجل، خوفا من عودتها إلى جذورها الأصلية " الكتاب والسنة " فجيشوا الجيوش لنزع الإسلام من أعماق المسلمين، وخَصوا بذلك

التصوف لما له من دور فعَّال في المزاوجة بين الروح والجسد- فلم يؤثروا أحدَهما على الآخر- علما وعملا وسلوكا؛ مما يجعلهم يحسبون الحسابات الدقيقة؛ للقضاء على روح الإسلام الذي يريدونه إسلاما فارغا من العقيدة والجهاد والتحرر من ربقة الاحتلال.

كما أنهم لم يتركوا وسيلة لنزع تعاليم القرآن وهدي السنة إلا واستخدموها سلاحا ضد المسلمين" وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا " (217: البقرة) فيقتلون المسلمين باسم الإرهاب والعنف والتطرف، وبدعوى التحضر والتمدن والارتقاء بمستوى ما سموه بدول العالم الثالث، يتربصون بهم الدوائر، فجميع حروبهم دينية صليبيّة وصهيونيّة، فاحتلوا بلاد المسلمين لسرقة خيراتهم، وانتهاك حرماتهم، لا يرعون في مؤمن إلا ولا ذمة، ويوهمون العالم بأنهم أهل العدالة ورعاية حقوق الإنسان، ودعاة الرفق بالحيوان وحماية البيئة، فسموا احتلالهم استعمارا، وعاثوا في الأرض فسادا، باسم الحريّة والديمقراطيّة.

لقد شاع التصوف وانتشرت الطرق الصوفية في المغرب العربي والصومال وليبيا ومصر والسودان، وأصبح الطابع العام للقارة الإفريقية طابعا صوفيا، وطبيعة التصوف تقوم على الزهد في الدنيا، وتربية المريدين على تطبيق الكتاب والسنة، والتعلق بهما وتطبيق أحكامهما، فبنوا الزوايا والربط والتكايا الخاصة بهم وكانت بمثابة دور العلم، حيث يتعلم الصوفي فيها أحكام دينه علما وعملا وتربية وسلوكا، كما كان الصحابة يتعلمون زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وحين فاجأهم الاستعمار انبروا له فتدربوا على الفتوة وحمل السلاح، وجهزوا أنفسهم للدفاع عن ديار الإسلام، فظهر بينهم علماء أعلام،

واشتهر منهم قادة عظام، زكَّوا أنفسهم فزكت، وتخلوا عن كل خلق دني، وتحلوا بكل وصف سَنِيٍّ، فأصبحوا القدوة والمثل، وفي الثبات والشجاعة مضربا للمثل، فقادوا المجاهدين إلى الجهادين الأكبر أولا ثم الأصغر آخرا، فباتوا مرابطين على الثغور يدفعون كل معتد، صامدين صمود الصحابة الذين حرصوا على الموت لتهب لهم الحياة، أخرجوهم خاسئين بصلابة إيمانهم ويقينهم بأنَّ الله ناصرٌ دينَه، قاتلوا في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، وبغيتهم إحدى الحسنيين، إما النصر وإما الشهادة.

من أعــلام الجهاد الصوفي في القارة الإفريقية

ليس من السهولة بمكان الإحاطة بأعلام التصوف فكل علم منهم يحتاج إلى بحث مستقل، وذلك يحتاج إلى مجلدات لا يسعها هذا البحث الذي نحن بصدده، فإحصاء علماء التصوف أمر لا يستطيعه باحث ولا باحثان بل يحتاج إلى جهد جماعي ليعيد صياغة التاريخ لإنصافهم؛ لانَّ كثيرا من المؤرخين استبعدوهم.

وبعد الدراسة والنظر في كتب السير والتراجم ظهر للباحث أن جلَّ حركات التحرر الإسلامية قامت على عاتق علماء الصوفية، وسنذكر في هذه الدراسة بعضا من أعلامهم وبيان دورهم مثل:

1. **محمد بن علي السنوسي** (ت:1859م) مؤسس الطريقة السنوسية تلميذ أحمد بن إدريس الفاسي (ت:1853م) شيخ الطريقة الخضيريَّة الشاذليَّة[20]

"من عيون أعيان القرن الثالث عشر الهجري عالما عاملا كبيرا مجتهدا، أصله من الجزائر... لم تسمح الحكومة الفرنسية في المغرب بنشر الطريقة السنوسية في الجزائر التي تعدها خطرا عظيما على الاستعمار، وأنها تسمح لسائر الطرق مع المراقبة اللازمة لها ولكنها لا تقبل صرفا

ولا عدلا من جهة السنوسية التي تعلم قوتها ومنمقدرتها الملية ما تعلم" انتقل الى ليبيا فقاد مقاومة الاحتلال في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وعمل على بناء قوة عربية إسلاميّة في صحراء ليبيا تقوم دعامتها على أساس الزوايا والرباطات؛[21] و " هذه الطريقة التي كافحت الجهل والفوضى التي جاهدت الاستعمار الإيطالي في ليبيا جهادا شديدا، وقد قضي الشيخ الشريف احمد السنوسي حفيد شيخ الطريقة السنوسية حياته في كفاح الاستعمار الإيطالي وأزعج موسيليني زعيم الحزب الفاشستي ورئيس الدولة الإيطالية "[22]،

2. شيخ المجاهدين **عمر المختار** الذي جعل من زاويته الكبرى في واحة الجغبوب مقراً ومركزاً للعمليات العسكرية حتى استشهاده، وقد تحولت جميع الزوايا لمقاومة المحتل الإيطالي لليبيا في مطلع القرن العشرين"[23]. وعمر المختار هو أحد رجالات الطريقة السنوسيَّة ومن كبار مقدَّميها ومن أخلص التلاميذ لقائد الجهاد الأعلى الشيخ الشريف أحمد ابن السنوسي[24].

3. **الشيخ محمد عبد الله حسن الجبرتي العقيلي ثائر من الصومال** (1856-1920م) وهو أبرز خلفاء شيخ الطريقة الشاذلية، قاد بلاده من نصر إلى نصر أكثر من عشرين عاماً حارب فيها قوات الدول الكبرى في القرن التاسع عشر (بريطانيا وإيطاليا والحبشة). [25]، وبعد توالي الانتصارات على بريطانيا وأنه لا مجال لهزيمته أغرت برشوته وعرضت عليه ملك الصومال، فرفض بشموخ العقيلين الهواشم، وآثر المعركة حتى النصر أو الاستشهاد، فاستشهد متأثرا بجراحه بعد قصفهم .

4. **الزعيم الروحي ماء العينين** (ت 1910م) تزعم حركة المقاومة في موريتانيا في وجه الفرنسيين وتصدى لمطامعهم وكان قد اتبع الطريقة الفاضلة التي أسسها والده (وهي فرع من القادرية) [26].

وفي أفريقية بوجه عام اتبع زعماء الجهاد تعاليم الطرق الصوفية التي لا يستطيع أحد أن ينكر دورها في نشر الدين والثقافة الإسلامية، وفي مقاومة كل مظاهر السيطرة والوجود الأجنبي. وهم جميعاً رفضوا الاستسلام فقد فضلوا الاستشهاد في سبيل الله"[27]. ومازالت شعوب غرب أفريقية الإسلامية تدين للمجاهدين من أصحاب الطرق الصوفية.

5. **الشيخ عثمان بن فودي** (القادري) والحاج الشهيد **عمر التكروتي**"[28] الذي حمل معه الطريقة التيجانية إلى غرب أفريقية.

6. البطل المراكشي **الأمير عبد الكريم الخطابي**(1881-1962م) من أبرز شخصيات المغرب البطولية الذي كان على درجة كبيرة من الشجاعة والزهد معاً، وقد اعتكف عدة سنوات، أخذ نفسه بالرياضة الروحية الخالصة ؛حتى يصقل نفسه ويصفيها من شوائب الدنيا وأعراضها [29]، ثم بدأ بعدها مرحلة طويلة من الكفاح ضد الاحتلال وخلّف عدداً كبيراً من المريدين حملوا بعده راية الكفاح حتى تم قطف ثمار جهادهم. ولا ننسى الدور الفعال الذي قامت به الدرقاوية إبان الاستعمار الفرنسي للمغرب[30].

وفي الجزائر لاحظ الخبراء الفرنسيون أن زعماء حركة الجهاد التي تولت محاربتهم انطلقت من الطرق الصوفية وخاصة المرتكزة منها حول الزوايا التي كانت منذ قرون تعتني بالجهاد عند الخطر وتعتني بالعلم والتصوف عند السلم. ومن أبرز تلك الطرق في القرن الماضي **القادرية والرحمانية**[31] وقد أنجبت الأولى الأمير:

7. **عبد القادر الجزائري** (1807-1885م) شيخ المجاهدين في العصر الحديث فضلاً عن كونه من كبار صوفية عصره، فقد كان راسخ القدم في العلم الإلهي"[32]. حارب الأمير عبد القادر الفرنسيين بلا هوادة مدة سبعة وعشرين عاماً.
8. **الشيخ علي الحداد** شيخ الطريقة الرحمانية والذي ناصر ثورة المقراني عام 1871م...حتى سيطرت هذه الثورة على ثلثي الجزائر، واشترك فيها نحو 150 ألفا منهم 120الفا من الإخوان الرحمانية"[33].
9. **عبد الرحمن بن عبد القادر** قام بثورة عام 1871م بعد أن دخل الجزائر سرا لتخليصها من الاستعمار، مغتنما الحرب الفرنسية الألمانية، وكان حافظا للقران"[34] .
10. **العالم محمد أحمد المهدي** (1843-1885) حارب الإنجليز في السودان، حفظ القرآن منذ صغره وبهرته دون أترابه في الدرس أنوار التصوف فأقبل عليها "[35] " في عام 1881م أصدر فتواه بإعلان الجهاد ضد الكفار والمستعمرين الإنجليز، وأخذ يعمل على بسط نفوذه في جميع أنحاء غرب السودان "[36] وقد تمكن الثوار بقيادة المهدي من محاصرة الخرطوم 1885م وقتل حاكم السودان الإنكليزي (غوردن) "[37].
11. **وفي مصر ظهر الزعيم أحمد عرابي** (1841-1911م) الذي نشأ في بيئة صوفية، وفي ذلك يذكر عرابي عن أبيه أنه كان شيخاً جليلاً عالماً ورعاً "[38] وكان لهذه النشأة أثر بعيد في تكوين خُلُقِهِ وشخصيتهِ وقد جاء في بعض الكتابات: "أحمد عرابي الحسيني مسلم صوفي جاور في الأزهر عامين" [39].

12. **حسن العدوي ومحمد عليش** كانا في المجلس الأعلى لقيادة الثورة العرابية فالعدوي من أشهر خطباء الثورة، وعليش أمهر كتابها.
13. **المجاهد الشيخ محمود أبو عليان الشاذلي البصيلي**، تلميذ الشيخين حسن العدوي ومحمد عليش قد ملأ الدنيا دعوة وجهادا "[40]
14. **الشيخ محمد القاياني** من كبار الصوفية الذين ساهموا في الثورة العرابية "[41]
15. **أبو الوفاء الشرقاوي**: 1296هـ " هو الإمام العارف بالله الصوفي الزاهد الشيخ أحمد أبو الوفاء الشرقاوي ... يعد الإمام والقطب الرباني أبو الوفاء الشرقاوي من أعلام الأزهر والصوفية في مصر ومن أبرز علمائها وشيوخها. فله مدرسة صوفية عظمى بدأت نشأتها في صعيد مصر ثم ذاع صيتها في مختلف الأقطار... كان أعلام العلماء في عصره يتوافدون عليه لمكانته العلمية والأدبية وقد كان والده علماً من أعلام التصوف الإسلامي في عصره. علماً وعملاً. وإرشادا وله فيه مؤلفات قيمة. وقصائد ممتعة " وكان غالب مريديه من العلماء على منهجه وسيرته فكان للتصوف في نفسه بحكم نشأته أثر ظاهر في أخلاقه وتربيته وسموه الروحي وإرشاده. ... وقد جمع بين التربيتين وأحرز... وأقر له بالفضل والسبق في العلوم والمعارف. وأدب النفس وعلو المدارك شيوخ الإسلام وجهابذة العلماء بالأزهر وغيره ... كان الشرقاوي مهموما بقضايا أمته مشغولا بواقعها، " ويظهر ذلك من مواقفه الوطنية المعارضة للاستعمار الفرنسي، وانشغاله في صدر شبابه بالأحداث الكبرى، في العالم كالحرب العالمية الأولى وتأييده للحركات التحررية في مصر. فقد استضاف، الزعيم المصري سعد زغلول حين زار الصعيد في رحلة جهاد كانت الحكومة لا تنظر إليها آنذاك بعين

الرضا بل كانت تدبر المكائد لإفشالها، فإذا به يتحدى رغبة الحكومة ويقف بجانب ثورة 1919م معلنا عن تأييده الكامل لزعيم التحرر سعد زغلول ومساهما في رحلته الوطنية إلى الصعيد.

وقد ظهر اهتمامه بواقع مصر، في قصيدة همزية صريحة تقول: [الكامل]

أفمسلمون وأمة أشلاء لا ميتون ولا هم أحياء
يهنون والإسلام اشرف منزلا ومحمد مما لقوه براء
قد أثقلوا الإسلام عن وثباته وهم عليه معرة وبلاء
في كل دهر سقطة عرفت لهم وبكل قطر منهم غوغاء
داستهم أمم تجد إلى العلا في الأرض لم يلحق بها إعياء
وهم إذا قرع العصا ذو مطمع ضربت عليهم ذلة وشقاء
غاصب أو كلما مستهم يد سقطوا كذلك يفعل الجناء
فكأنهم لم يسر في أعراقهم من سابقيهم غَيرة وإباء
لا يظفرن بمجدهم وحياتهم قوم ببذل نفوسهم بخلاء
وبمصر قوم يا لمصر وأرضها منهم وهم زعموا لها أبناء
لبسوا لها ثوب الصديق وربما قد كان خيرا منهم الأعداء
عبثت أكف الطامعين بها فلم تعبأ وترفع رأسها الرؤساء
أنهتهم عن برّ مصر عقولهم فليهن مصر أولئك العلاء
لا تُغنينَّ علومهم شيئا وهم بطريق حفظ كيانهم جهلاء
فالعلم حقّا علم ما يبنى به بين الأنام سيادة وعلاء
أوُلاة مصرَ، وأنتم أبناؤها لم يبق فيكم للبلاء رجاء

أغريتم الخطب الجسم ونمتم فلنوم عافية لكم وهناء
أرأيتمُ أمما تباع وتشترى ها أنتم بيع بكم وشراء

ثمّ تبلغ سخرية الشرقاوي المدى حين يتوجه للنائمين قائلا:

خونوا بلادكمُ ولا تُبقوا بها رمقا وهل باق بمصر ذَمَاءُ
فبمثلكم تخزى الشعوب ومثلكم تشقى به الأوطان والأرجاء

وللشرقاوي قصائد نقد اجتماعي لاذع يحكي خلالها مرارة واقع مصر وتهاون أهل البلاد في حقوقها عليهم منها قوله: الطويل

قد أصبح الإسلام – يا مصر– أهله معيشتهم ضنكى وعيشهم مرٌّ
وما العيش أن تحيا على الهون آكلا كما تأكل الأنعام تغذَى وتجترٌّ
ولكنما العيش الحياة على هدى إذا حاطها بالسؤدَدِ المجدُ والفخرُ

هذا هو أبو الوفاء الشرقاوي الذي لم يكن إلا جنديا تحرريا يقف إلى جوار إخوانه من الأحرار للذود عن مصر ومقارعا الاستعمار البريطاني[42] ، ومصلحا اجتماعيا، يأبى الضيم والذل لنفسه وبني الإسلام.

16. **محمد عبد الله حسن الجبرتي**[43]: حين نذكر الصومال لا بد لنا من ذكر هذا العالم الصوفي، المجاهد إذ كان مع جماعته التي اشتهرت بالدراويش(**(daraawiish)** وهو من ابرز المناضلين الذين تحدوا الغزاة وأذاقوهم دروسا سجلها التاريخ، وبذلوا النفس والنفيس، وهو عالم من علماء الطرق الصوفية الصومالية وأثره ناطق في نشر الدين في ربوع المجتمع الصومالي وتحدياته الخارجية لمؤامرات المستعمرين، وبالرغم من قلة الموارد آنذاك فقد بادر بالتصدي للمستعمر هو وطلبة العلم وعلماء

الطرق الصوفية وبعض التجار، وكان من أبرز قادة حركة التحرير الصومالية وهو من أبناء مشايخ الطرق الصوفية الصومالية

ومن خطاباته ورسائله المشهورة الموجهة للبرلمان الإنجليزي: " لن تحصلوا منا إلا على الحرب لا غير... نحن قوم لا نسمح للكفار أن يحتلوا بلادنا أو يحكموها، ولا نتكاتف على ذلك مع المستعمرين لا بعوض ولا بتهديد ... ولا نذل قوانين الشريعة وأحكامها، ولا نجعلها خاضعة لقوانين الكفرة وأحكامها الطاغوتية، بل نعلن حربنا على الزعماء وعلى الذين يسمحون لهم بدخول بلادنا واستعمارها... ونوجه لومنا للعلماء والقضاة الذين يهينون شريعتنا الإسلامية ويجعلونها تحت أقدام الكفرة الفجرة وقوله: " نحن قوم لا يخضعون لأعداء دينهم ووطنهم ولو كثرت جنودهم وتتابعت هجماتهم وتنوعت آلاتهم المهلكات واشتدت وطأتهم علينا، وانضمت إلى صفوفهم أكثرية الوطنية الصومالية وآخرون من المستخدمين الأجانب. لأننا نريد بأموالنا وأنفسنا الجنة من الله تعالى، وأن نطهر بتضحيتنا في الجهاد وصدق إيماننا وإسلامنا.

قال فيه روبرت هس(**R.l.hess**) أستاذ التاريخ المشارك في جامعة شيكاغو: "كان وطنياً فريد الطراز في عصره، شاعراً عظيما، وزعيماً لشعبه في إطار التطور السياسي والديني الذي عرفه الصومالي في الأزمنة الحديثة, فأمام قوى كبرى ثلاث (بريطانيا، إيطاليا، الحبشة) واجه محمد عبد الله بعدائها السافر وبقدر ضئيل من الأسلحة الأوربية مع ضعف الاتصال بالمدن الساحلية ولفترة تزيد على عقدين من الزمان لم يتمكن فحسب من مضايقة البريطانيين .... بل أحرز ضدهم وبانتظام انتصارات حربية وسياسية وأيضا دبلوماسية".

إذن فالصوفية قديما وحديثا لم يتوانوا عن الإصلاح والدعوة إلى مقاومة الاستعمار قديما وحديثا فقديما" كان الصوفية وراء تأهيل المصريين لزعامة العالم الإسلامي بعد سقوط بغداد عاصمة الخلافة، وبتأييدهم وحشود مريديهم ومحبيهم انتصر المسلمون علي الصليبيين في حطين وفي دمياط وفي المنصورة، وانتصروا على التتار في عين جالوت.

وتاريخ الشيخ أحمد الدرديري شيخ الطريقة الخلوتية وتاريخ الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الطريقة الشاذلية وتاريخ الشيخ السادات والشيخ عمر مكرم والشيخ أحمد بن السنباطي وكل هؤلاء صوفيون تركوا تاريخا مشرفا ما زال المسلمون يفخرون به.

وحديثا فالسنوسية هي الطريقة التي كافحت الجهل والفوضى والتي جاهدت الاستعمار الإيطالي في ليبيا جهادا شديدا، وقد قضي الشيخ الشريف أحمد السنوسي حفيد شيخ الطريقة السنوية حياته في كفاح الإيطاليين، وأزعج (الدويتش موسيليني) زعيم الحزب الفاشستي ورئيس الدولة الإيطالية، وجهاد الشريف أحمد السنوسي يعتبر من أيام البطولات الخالدة في تاريخنا المعاصر ويكفي الطريقة السنوسية المجاهدة فخرا أن الشيخ عمر المختار هو أحد رجالاتها، ومن كبار مقدَميها ومن أخلص التلاميذ لقائد الجهاد الأعلى الشيخ الشريف أحمد ابن السنوسي".(44)

وغيرهم كثير لا يتسع المجال لذكرهم فقد سجلوا بحروف من نور أمجاداً وبطولات لابد للأجيال أن تعيها. إن الفضل الأول في تكوين هذه الفئات يعود إلى المدرسة الروحية الخالدة التي أنجبت القواد العظماء أمثال نور الدين وصلاح الدين والظاهر بيبرس وعبد القادر الجزائري وعمر المختار وعبد الكريم الخطابي كانوا جميعاً نماذج رائعة من التجرد

والإخلاص إنهم ورثة النماذج من السلف الصالح من أمثال خالد بن الوليد وأبي عبيدة عامر بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسواهم.

ونخلص في ختام هذا البحث إلى معرفة دور علماء الصوفية في حركات الإصلاح والتحرر المعاصرة والتي كانوا فيها الطلائع والمبادرين كونهم يملكون طاقات علمية فعملوا بما علموا فجسدوا الإسلام حسا ومعنى، مما جعل إقدامهم إقدام الأبطال، إقدام المشتاقين إلى لقاء ربهم طالبين الشهادة الخالية من الشوائب ، فكما أنهم شاركوا في الدفاع عن الأمة ومجدها، كان لهم الدور الفعال في توجيه أبناء الأمة وتزكيتهم، فلم يرضوا بالذل والعار ولو للحظة، فقدموا نماذج قلما نسمع عنها في التاريخ إلا من كان على شاكلتهم، كما أن علماءهم لم يركنوا إلى الراحة حتى بعد جلاء المستعمر عن ديار الإسلام، بل نجدهم عادوا للعلم والتعليم، وتربية النفوس على الخير، وكم رأينا في هذا البحث من مشاركة علماء التصوف في تبني الإصلاح الاجتماعي والمشاركة المجتمعية.

وبهذا نستطيع أن نخلص إلى حقائق موثقة بأنهم كانوا فاعلين ومنفعلين مع مجتمعاتهم لم ينعزلوا عنه إلا فترة التزكية، وهي سنة الرسول عليه السلام، فكم كان يهجر أهله ليذكر الله في غار حراء وكل مسلم يحتاج لمثل هذه الخلوة ليعود من خلوته مسلما قويا لا تأخذه الدنيا ببهرجها، يعود متخليا عن أوصافه الذميمة، متحليا بأخلاقه الحميدة، يعود قرآنا يمشي على الأرض متمسكا بدينه مطبقا لسنة نبيه.

ومن الحقائق التي نخلص إليها أنَّ علماء الصوفية تنبهوا لمقاصد أعداء الدين، في هدم الركن الروحي للإسلام والذي لا يتجسد إلا به، ولا يتحقق مقصود الإسلام إلا من خلاله.

ونجد غيرهم ممن سلك غير طريقهم كيف تسرب المرض إلى نفوسهم حتى أخذوا يصدقون كل ما يبثه الاستعمار من دعوات زائفة، كالحرية، والديمقراطية، والحريات الدينية، وحقوق الإنسان.

ولم يتوقف الأمر عند أعداء الإسلام، بل تعداه إلى بعض المسلمين الذين يشككون بكل ما قدمه علماء الصوفية، ويشوهون التصوف برمته، بتصيدهم لأخطاء أدعياء التصوف، فما أنصفوا ولا نطقوا بالحقيقة، معتمدين على ما دراسات المستشرقين؛ الذين وصفوا التصوف بأنه قوقعة بالزوايا والتكايا، وخمول وانهزام واستسلام، وأنكروا كل جهدهم ونضالهم، ولم يأخذوه من منابعه الأصلية وعلماء الصوفية على انه همة وباس وصمود وصبر ورجولة، وهم رهبان الليل وفرسان النهار، جاهدوا أنفسهم، لترتقي إلى أعلى ما ترتقي إليه النفس الإنسانية من قيم عليا، متبعين بذلك سنة محمد عليه السلام، ومقتدين بأصحابه.

ومن الحقائق التي تستخلصها من هذا البحث أنَّ علماء الصوفية هم من دحروا الأعداء وسطروا أروع آيات النصر والجهاد بإيمان ويقين لا يبرحهم البتة حتى يحصلوا على إحدى الحسنيين، ولولاهم لبقيت ديار الإسلام خاضعة ترزح تحت نير الاحتلال الصليبي.

وما أثبتناه غيض من فيض، من علماء الصوفية، فقد اكتفى الباحث بذكر نماذج من علمائنا المشهورين وبعض المغمورين، ولكن القائمة طويلة والعدد كبير لا يستوعبه هذا البحث وليس هذا مجاله.

والحقيقة الأخرى هي أن المؤرخين لهذا العصر قد صادروا حق هؤلاء الأعلام، وأخفوا ودورهم في مقاومة الاحتلال، وإصلاح المجتمع. ناهيك عن، بل غمزهم ولمزهم، ووصفهم بالسلبيين والقدرية المتواكلين، وكأنهم لم يطلعوا على الحقائق التاريخية، ولم ينسبوا للإسلام إلا إرهابا

وتخريبا، فقلبوا الموازين فحسنوا القبيح وقبحوا الحسن. "فمدحوا الحركات المناوئة للإسلام والتي ألحقت به ابلغ الضرر في عصره الأول كحركة القرامطة والباطنية والخرمية البابكية... يرددون شعارات براقة ظاهرها رحمة وباطنها فيه العذاب: "التحليل العلمي، "إعادة كتابة التاريخ"، الدراسة الموضوعية المنهجية"، فجعلوا باسم التحليل العلمي الشعوبية الحاقدة منارات هدى في تاريخنا"[45].

وعليه يجب علينا إعادة النظر في تدوين تاريخنا، هذا التاريخ الذي كتبه أعداء الإسلام ودعاة التقدمية الممزوجة بروح الإستشراق الغربي الصليبي الحاقد[46].

ولا ننسى في هذا المجال ما كتبه مؤرخو الحركات الإسلامية المخلصين لدينهم، فبذلوا الجهد الفردي في بيان الحقيقة التاريخية لإنصاف العلماء العاملين من رجال الثورة والمقاومة "[47].

وهذا يتطلب تظافر الجهود في إعادة كتابة تاريخ علمائنا وبيان دورهم في حركات التحرر المعاصرة في العالم الإسلامي.

ولا يتطلب ذلك إلا الرجوع إلى المؤرخين المنصفين الذين بثوا التاريخ في ثنايا كتبهم وترجماتهم لأنها تترجم عن واقع مشاهد معاش، ما كتبه التلاميذ عن مشايخهم، وما عشناه نحن المعاصرين من مقاومة ربما ما زلنا نشاهدها في عالمنا المعاصر، فقد تحال كل هذه الانتصارات إلى من كان مختبئا في جحره، بفعل السلطة أو المال أو الحزبية...

وأخيراً أرجو أن أكون قد قدمت نماذج من علمائنا تعيدنا إلى مجدنا وتذكرنا بتاريخنا ليكونوا القدوة لبناء جيل النصر والتمكين فعسى أن يظهر

جيل صلاح الدين الذي اقتدى بالعلماء العاملين هو ونور الدين مقتدين بمدرسة الإمام الغزالي علما وعملا.

نعم إنهم نماذج صدقوا مع الله فصدقهم ولا يكون النصر إلا بما انتصروا به، والذي أرجوه أن لا تصبح هذه النماذج تراثا نتغنى به، بل لتكن دافعا للقدوة بعلمائنا لعل الله سبحانه وتعالى يبعث روح هذه الأمة من جديد، يجل بعضنا بعضا بعيدين عن تكفير المسلمين والتطرف وقبول الآخر، وإيصال رسالة الإسلام كما أرادها الشارع سبحانه وتعالى، نجتمع ولا نختلف نتحاور ولا نتشاجر "لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا، وَمَنْ يُشَاقِقْ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا "(114، 115: النساء) صدق الله العظيم.

هـــوامش :

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، الجهاد باب 5، حديث رقم (2794) .

[2] أحمد سلام، **الصوفية والجهاد، أعمال ملتقى التصوف الإسلامي العالمي**، طرابلس، الجماهيرية العظمى، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 1995م (ط1)، ص422.

[3] إسماعيل بن محمد العجلوني، (توفي1162ه/1748م)، **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، أشرف على طبعه وتصحيحه والتعليق عليه أحمد القلاش، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1197 (ط7)، ج1، ص160

[4] أنظر **رسالة عمان**" بيان مفصل أصدره صاحب الجلالة الملك عبد الله الثاني http://www.ammanmessage.com/index.php?lang=ar

[5] أنظر محمد فهر شقفه، توفي(1431ه/2010م)" **التصوف بين الحق والحقيقة**"، 1970(ط2). وعبد الرحمن الوكيل، **(توفي 1390ه /1971م)، هذه هي الصوفية**"، بيروت، دار الكتب العلمية، 1979(ط3)

[6] **www.alagidah.com/vb/archive/index.../t-2164.html** فقد كانت زاوية (مستغانم) أعظم مراكز الاستخبارات الفرنسية بالنسبة للمغرب.

[7] أنظر إحسان الهي ظهير (توفي 1407هـــ/1987م) **دراسات في التصوف**، القاهرة، دار الإمام المجدد، 2005(ط1) ، ص126 وأنظر إحسان الهي ظهير، **التصوف المنشأ والمصدر**، باكستان، لاهور،1986(ط1)، وفي هذين الكتابين يشدد النكير على التصوف وينسفه نسفا.

[8] انظر محمد عبد الله بن أسعد اليافعي، **نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية الملقب كتابه كفاية المعتقد ونكاية المنتقد (768ه/1366م)**، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1961، (ط1) كتاب يسلط الضوء على الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

[9] أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي المغربي (توفي 846 هـــ /1442م) **قواعد التصوف**، تعليق وضبط، الشيخ إبراهيم اليعقوبي، دمشق، مطبعة الملاح، 1968، (د.ط) ص1.

[10] محمد بن محمد بن مخلوف **تنقيح روضة الأزهار**، طرابلس، مكتبة الطلبة والطالبات، ص191.

[11] أحمد شهاب الدين الزوي، **سلطان الأولياء الجيلاني**، طرابلس، منشورات زاوية سيدي نصر د- ت ص129.

[12] أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي (توفي387ه/997م)، **اللُمع**، تحقيق: د.عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، مصر، دار الكتب الحديثة، د ط، 1960 ص516-545.

[13] حمدان بن عثمان خوجة (توفي1255هـ/1840م)، **المرآة**، تقديم وتحقيق وتعريب د. محمد العربي الزبيري ، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2.

[14] د. محمد العربي الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر (1954-1962)**، ج2، منشورات اتحاد الكتاب العرب 1999م، ص180

[15] حمدان خوجة، **المرآة**، هذا التقرير أصدرته المفتشية العامة وحرر بالجزائر سنة 1864.

[16] عبد المنعم قاسمي الحسني، **دور الطرقية في مقاومة الاستعمار الفرنسي**، http://aljazeeratalk.net/forum/showthread.php?t=254355

[17] http://www.hamsjazan.com/vb/showthread.php?t=65978

[18] للإطلاع على دور المدارس الصوفية في مقاومة المحتل والإصلاح أنظر الدكتور ماجد عرسان الكيلاني، **هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس**، الإمارات العربية المتحدة، دبي، دار القلم، 2009 (ط2)، ص189-270

[19] شمس الدين العجلاني، **مقالة في ذكرى معركة ميسلون**، موقع أدباء الشام http://www.odabasham.net/show.php?sid=36912

[20] عبد الكريم غرايبة، **دراسات في تاريخ أفريقية العربية**، مطبعة جامعة دمشق 1960 (ط1)، ص15.

[21] لوثورب **ستودارد الامريكي lothrob studdard- حاضر العالم الإسلامي**، ترجمة عجاج نويهض، بيروت، دار الفكر، 1973(ط4) المجلد الأول ج2، ص140-141.

[22] لوثورب **- حاضر العالم الإسلامي** ص91.

[23] حبيب وداعة الحسناوي، **عمر المختار نشأته وبيئته الأولى**،. ليبيا، جامعة الفاتح ص22.

[24] لوثورب – **حاضر العالم الإسلامي**

[25] د.عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقية**، سلسلة عالم المعرفة الكويتية 139– تموز 189، ص 223 وما بعدها. بتصرف.

[26] د.الهام ذهني، **جهاد الممالك الإسلامية في غرب أفريقية ضد الاستعمار الفرنسي (1850– 1914)**، الرياض، دار المريخ للنشر، 1988 ص200.

[27] **المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقية**، ص271.

[28] **المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقية**، ص271.

[29] محمد عبد المنعم المحامي ومحمد عبد الوارث الصوفي، **الأمير عبد الكريم الخطابي بطل الشمال الأفريقي**، القاهرة المكتبة العلمية (ط1) 1958، ص88.

[30] لوثورب – **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص396.

[31] انتشرت الطريقة الرحمانية في الخمسينات من القرن الماضي ويعزى انتشارها إلى أنها كانت رد فعل لنشاط المبشرين بين القبائل وناصرت الرحمانية ثورة أحمد المقراني انظر **الإسلام وحركات التحرر العربية** ص74

[32] عبد الرزاق البيطار (توفي 1335 ه/1916م)، **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**، تحقيق: محمد بهجة البيطار، بيروت، دار صادر (ط2)1993، ج2 ص883.

[33] انظر د.شوقي أبو خليل، **الإسلام وحركات التحرر العربية**، دمشق 1976 دار الرشيد، (ط1) ص74 –85

[34] السابق ص85

[35] محمد أحمد المهدي، توفيق أحمد البكري (توفي1386ه/1966م)، **سلسلة أعلام الإسلام**– القاهرة 1944 مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ص7.

[36] الدعوة المهدية، **الندوة العالمية لشباب العالم الإسلامي**
http://www.almwsoaa.com/Forum/showthread.php?t=4423

[37]– البيطار، **حلية البشر**، ج2، ص801.

[38]– محمود محمود الخفيف، **أحمد عرابي الزعيم المفترى عليه (توفي 1431ه/2010م)**، مصر مطبعة الرسالة 1947، (ط1)، ص3.

[39] د. شوقي أبو خليل، **الإسلام وحركات التحرر العربية**، ص42 وما بعدها.

[40] **المسلم** " مجلة العشيرة " المحمدية، السنة6 ، عدد4، 1375 10حزيران 1956م.
وانظر عدد21 تموز 1955م، ص7، وانظر **حركات التحرر العربية** ص46.

[41] **المسلم** السنة6، عدد4 ص7.

[42] د. يوسف زيدان، **شعراء الصوفية المجهولون**، بيروت، دار الجيل، 1996م، (ط2)، ص113-115

[43] للإطلاع على مواقف هذا القائد وجهاده ودوره في جهاد الانجليز والايطاليين والفرنسيين انظر موقع المعرفة http://www.marefa.org/index.php

[44] دكتور عمر مسعود التجان، **دور الصوفية في مقاومة الاستعمار في إفريقيا** http://www.mubarak-inst.org/stud_reas/research_view.php?id=139

[45] انظر شوقي أبو خليل "**الحركات الإسلامية المعاصرة**"، ص 8 وما بعدها.

[46] انظر المؤامرة على تاريخنا في مقدمة كتاب محمد جلال كشك "**ودخلت الخيل الأزهر**" (ط3) 1990م، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ص:10- 15

[47] انظر المصادر والمراجع للاطلاع على هذه المؤلفات القيمة.